الإِمامُ أبو الحسنِ الأَشعريُّ
ناصرُ السُّنَّةِ
(270 ـ 324هـ)

الإِمَامُ أبو الحسنِ الأَشعريُّ، ناصرُ السُّنَّةِ، ورَجلُ العلمِ والدِّين، العالمُ الفَذُّ المُجاهدُ بِعلمِهِ وعَملِهِ، مَنْ نصرَ اللهُ بِهِ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ على حينِ فترةٍ مِنَ التَّاريخِ، فَألحقَ بِالمُتَكَلِّمِينَ والمُتَفَلْسِفِينَ والمُزاودينَ عَلى الدِّين والعَقيدةِ ضَرباتٍ موجعةً، وأنزلَ بِهِمْ هزائِمَ مُتتاليَةً، فَلَمْ تَقمْ لَهُمْ قائِمةٌ بَعدَها، ولَئِنْ كانَ الإِمَامُ أَحمدُ بنُ حَنبل يُعتبَرُ قاهر المُعتزلَةِ، فَإِنَّ الإِمامَ الأَشعريَّ يُعتبَرُ بِحقٍّ ناصر السُّنَّةِ، ومُخلِّصُ العقيدةِ مِنْ خَطرِ التَأويلاتِ الباطلةِ، والآراءِ المُنحرفَةِ الَّتي حاولَ أنْ يُقحمَها فيها أَهلُ الباطلِ والزَّيفِ مِنْ أَدعياءِ العلمِ والثَّقافَةِ.

لَقَدْ خَلَّصَ «أَبو الحسنِ الأَشعريُّ» بِغزارةِ علمِهِ، وقُوَّةِ حجَّتِهِ واسْتدلالِهِ العقولَ مِنْ حيرَتِها وارتيابِها وهيَ تَخوضُ في المَسائِلِ الَّتي لا يَجوزُ الخَوضُ فيها فيما يَتعلَّقُ بِذاتِ اللهِ ﷻ وصِفاتِهِ، لأنَّ العقلَ يَعجزُ عَنْ إِدراكِ ذَلِكَ. كما أنَّ البَحثَ في هكذا مسائِلَ مِنْ شَأنِهِ أَنْ يُثيرَ الشُّكوكَ ويُضعفَ الإِيمانَ في عقلِ المرءِ وقلبِهِ، وكَما أُثِرَ عَنِ النَّبيِّ الأَكرمِ ﷺ أَنَّها توصِلُ

إلى الضَّلالاتِ والأَوهامِ، ومِنْ ثمَّ بيَّنَ الإِمَامُ الأَشعريُّ لأَوَّلِ مَرَّةٍ في تاريخِ العُلومِ الشَّرعيَّةِ والعقليَّةِ، أَنَّ أُصولَ الإِيمانِ وأَركانَ العقيدةِ، هيَ أُمورٌ صَحيحَةٌ لا يَجوزُ الشَّكُّ فيها أَو تأويلُها وتَفسيرُها حسبَ الأَهواءِ، لأَنَّ مصدرَها كتابُ اللهِ ﷻ، وسُنَّةُ المُصطفَى ﷺ، فَما يَنبغي مُعارضَةُ كلامِ اللهِ ﷻ، وسُنَّةِ رَسولِهِ الأَمينِ ﷺ بِدواعي العلمِ والعَقلِ، كما فَعلَ المُعتزلَةُ وغيرُهُمْ.

كما رأبَ الإِمَامُ الأَشعريُّ الصَّدعَ الَّذي أَحدثَهُ المُعتزلةُ بينَ العلمِ والدِّين، أَو بينَ العَقلِ والوحي كَما يُقالُ، فَقَدْ صَوَّرَ المُعتزلَةُ لِلعامَّةِ أنَّ هُناكَ جَفاءً وعداوةً بينَ العلمِ والدِّين وبينَ العقلِ والوَحي، وأنَّ الكلامَ الفَصلَ دائِماً لِلعقلِ حَتَّى في الأُمورِ الإِلهيَّةِ، فَأَثبتَ لَهُم الإِمَامُ الأَشعريُّ بِالحجَجِ والبَراهينِ العلميَّةِ والعقليَّةِ القاطعَةِ، أنَّ الحقائِقَ الدِّينيَّةَ لا تَتعارضُ معَ العِلمِ والعقلِ أَبداً، بَلْ هيَ حقائِقُ علميَّةٌ وعقليَّةٌ أَساسُها علمُ النُّبوَّةِ، وعلمُ النُّبوَّةِ أَساسُهُ الوَحيُ المُنزَّلُ مِنْ عندِ علَّامِ الغُيوبِ، والوَحيُ مَصدرُ العلمِ وأَساسُهُ، ولا يَرقَى إِليهِ الشَّكُّ أَو البُطلانُ، أَما علمُ المَنطقِ العقليُّ الَّذي كانَ سِلاحَ المُعتزلةِ في تأويلِ الحقائِقِ الدِّينيَّةِ وتَفسيرِها فَمَصدرُهُ العَقلُ البَشريُّ، والعقلُ علمُهُ غيرُ كاملٍ ويَعتريهِ الخَطأُ والشَّكُّ والبُطلانُ.

امتازَ الإِمَامُ الأَشعريُّ عَنْ غيرِهِ مِنَ العُلماءِ والمُصلحينَ، أَنَّهُ كانَ يَمشي بِرجليهِ إِلى أَهلِ البِدعِ والضَّلالاتِ مِنْ مُعتزلةٍ وغيرِهِمْ مِنَ المُتَكَلِّمينَ والمُتَفَلْسِفينَ، ويَدعوهُمْ بِالحجَّةِ والبُرهانِ إِلى إِيمانٍ وعقيدةِ السَّلفِ الصَّالحِ، فَلما قيلَ لَهُ:

كيفَ تُخالِطُ أَهلَ البِدعِ وتَقصدُهُمْ بِنفسِكَ وقَدْ أُمرتَ بِهجرِهِمْ؟

فَيقولُ: هُمْ أُولو رِياسَةٍ، مِنهُم الوالي والقاضي، ولِرياسَتِهِمْ لا يَنزلونَ إِليَّ، ولا أَسيرُ أنا إِليهِمْ، فكيفَ يَظهرُ الحَقُّ، ويَعلمونَ أَنَّ لأَهلِ السُّنَّةِ ناصراً بِالحجَّةِ؟

❁ ❁ ❁

هوَ ناصرُ السُّنـَّةِ، الدَّاعيَةُ والمُصلحُ المُفكِّرُ والعَـلَّامةُ إمامُ المُتَكَلِّمِينَ أَبو الحسـنِ عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي بشرٍ إسحاقَ بنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسَى بنِ أميرِ البَصرةِ بلالِ بنِ أبي بردةَ بن أبي موسى عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ بنِ حَضَّارٍ الأشعريُّ اليمانيُّ، يَنتَهي نَسبُهُ إِلى الصَّحَابِيِّ الجليلِ صاحبِ الفَضائِلِ المَشهورةِ «أَبي موسَى الأَشعريِّ» رضي الله عنه، والأَشعريونَ قبيلَةٌ يَمانيَةٌ مَعروفَةٌ كانَ مِنها العديدُ مِنَ العُظماءِ والفُرسانِ والعُلماءِ المَذكورينَ في تاريخِنا العربيِّ والإِسلاميِّ، وهُم الَّذينَ عَناهُم النَّبيُّ الأَعظمُ ﷺ في حديثِهِ المَشهورِ وهوَ يَحضُّ جماعةَ المؤمنينَ عَلى التَّعاونِ والإِخلاصِ في العملِ بِقولِهِ: «**إِنَّ الأَشعريينَ إِذا أرمَلوا في الغَزوِ أَو قَلَّ طعامُ عيالِهِمْ بِالمدينةِ، جَمَعوا ما عِندَهُمْ في ثوبٍ واحدٍ، ثُمَّ اقتَسموهُ بينَهُمْ في إِناءٍ واحدٍ، بِالسَّويَةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا مِنهُمْ**»[1].

ولِدَ الإِمَامُ الأَشعريُّ في البَصرةِ سنةَ (270) هجريَّةً، ولَمْ يَتجاوز السَّنواتِ الأُولَى مِنْ عمرِهِ حَتَّى ماتَ أَبوهُ، وتَركَهُ وحيداً معَ أُمِّهِ، فَتزوَّجَتْ أُمُّهُ مِنْ إِمامِ المُتَكَلِّمِينَ وشَيخِ المُعتزلةِ «أَبي عليٍّ الجبائيِّ» فَنشـأ وتَرعرعَ الأَشـعريُّ في كَنَفِهِ، ورُبِّي عَلى العِلمِ بِإِشـرافِهِ

(1) متفق عليه.

وعنايَتِهِ، وعِندَما كَبُرَ الأَشعريُّ كانَ مواظِباً عَلى حُضورِ مَجلسِ زَوجِ أُمِّهِ الَّذي كانَ يَجتمعُ فيهِ كِبارُ المُعتزلةِ، وتَشَرَّبَ أُصولَ مذهبِ الاعتزالِ، وصارَ عَلماً مِنْ أَعلامِهِمْ، وكَثيراً ما كانَ يَنوبُ عَنِ «الجبائيِّ» ويَترأَّسُ مجلسَهُ العلميَّ، وبَرزَ كَشخصيَّةٍ قياديَّةٍ واعتباريَّةٍ بينَ المُعتزلَةِ، يُرجعُ إِليهِ في أُصولِ وتَعاليمِ ومبادئِ مَذهبِ الاعتزالِ.

ولَكنَّهُ في المرحلةِ الثَّانيَةِ مِنْ حياتِهِ، تابَ عَنْ مَذهبِ الاعتزالِ، وشَرحَ اللهُ صدرَهُ لِمذهبِ السَّلفِ، فالتزمَ مذهبَ أَهلِ السُّنَّةِ والحديثِ الَّذي كانَ يَتزعَّمهُ «أَحمدُ بنُ حنبل»، وشَرعَ يَذودُ عَنهُ، ويَكشفُ زَيفَ مذهبِ الاعتزالِ، وفسادَ آراءِ المُعتزلةِ حَتَّى أَصبحَ مِنْ كبارِ أَعدائِهِمْ بَعدَ أَنْ كانَ فيهِمْ مرجعاً وإِماماً.

ويَذكرُ العلَّامةُ المُرتضَى الحنفيُّ في كتابِهِ «إِتحافِ المُتَّقينَ» رجوعَ الأَشعريِّ عَنْ مذهبِ الاعتزالِ فَيقولُ: «أَبو الحَسنِ الأَشعريُّ أَخذَ علمَ الكلامِ عَنِ الشَّيْخِ أَبي عليٍّ الجبائيِّ شيخِ المُعتزلةِ، ثُمَّ فارقَهُ لِمنامٍ رآهُ، ورَجعَ عَنِ الاعتزالِ، وأَظهرَ ذَلكَ إِظهاراً، فصعدَ منبرَ البصرةِ يومَ الجُمعةِ ونادَى بِأَعلَى صوتِهِ: (مَنْ عرفَني عرفَني، أَنا فُلانُ بنُ فُلانٍ، كنتُ أَقولُ بِخلقِ القُرآنِ، وأَنَّ اللهَ لا يُرى بالدَّارِ الآخرةِ بِالأَبصارِ، وأَنَّ العبادَ يَخلقونَ أَفعالَهُمْ، وها أنا تائِبٌ مِنَ الاعتزالِ، مُعتقداً الرَّدَّ عَلى المُعتزلةِ)، ثُمَّ شرعَ في الرَّدِ عليهِمْ، والتَّصنيفِ عَلى خِلافِهِمْ».

ويَذكرُ ابنُ عساكرَ الدِّمشقيُّ في كتابِهِ (التَّبيينِ) عَنِ ابنِ عزرةَ، قالَ: «إِنَّ أَبا الحسنِ الأَشعريَّ كانَ مُعتزلياً، وإِنَّهُ أَقامَ على مَذهبِ الاعتزالِ أَربعينَ سَنةً، وكانَ لَهُمْ إِماماً، ثُمَّ

غابَ عَنِ النَّاسِ في بيتِهِ خَمسَةَ عشرَ يوماً، ثُمَّ خرجَ بَعدَ ذَلِكَ إلى جامعِ البَصرةِ، وصعدَ المنبرَ بَعدَ صلاةِ الجُمعةِ وقالَ:

معاشرَ النَّاسِ، إِنِّي إِنَّما تَغيَّبتُ عَنكُمْ في هذِهِ المُدَّةِ، لأَنِّي نَظرتُ فَتكافأتْ عندي الأَدلَّةُ، ولَمْ يَترجَّحْ عِندي حَقٌّ عَلى باطلٍ، ولا باطلٌ عَلى حَقٍّ، فَاسْتَهديتُ اللهَ تباركَ وتَعالَى، فَهداني إِلى ما أَودعتُهُ في كُتبي هَذِهِ، وانخلعتُ مِنْ جَميعِ ما كُنتُ أَعتقدُهُ، كما انخلعتُ مِنْ ثوبي هذا) ـ وانخلَعَ مِنْ ثوبٍ كانَ عليهِ ورَمى بِهِ ـ. ودفعَ الكُتبَ إِلى النَّاسِ، فَمنها كتابُ (اللُّمعِ) وغيرُهُ مِنْ تواليفِهِ، فَلمَّا قرأَ تلكَ الكُتبَ أَهلُ الحديثِ والفقهِ مِنْ أَهلِ السُّنةِ والجماعةِ، أخذوا بِما فيها وانتحلوهُ، واعتقدوا تَقدُّمَهُ واتَّخذوهُ إِماماً، حَتَّى نَسبَ مَذهَبَهُمْ إِليهِ».

ثُمَّ يَذكرُ أَنَّهُ صارَ أَعدَى الخلقِ إِلى المُعتزلةِ «فَهُمْ يُشَنِّعونَ عليهِ، ويَنسبونَ إِليهِ الأَباطيلَ، وليسَ طولُ مُقامِ أَبي الحسَنِ على مَذهبِ الاعتزالِ ما يُفضي بِهِ إِلى انحطاطِ المَنزلةِ، بَلْ يَقضي لَهُ في معرفَةِ الأُصولِ بِعلوِّ المَرتبَةِ، ويَدلُّ عندَ ذَوي البَصائرِ لَهُ على سُموِّ المَنقبَةِ، لأَنَّ مَنْ رجعَ عَنْ مَذهبٍ كانَ بِعوارِهِ أَخبرَ، وعَلى رَدِّ شُبَهِ أَهلِهِ وكشفِ عوراتِهِمْ أَقدرَ».

❋ ❋ ❋

يَذكرُ الإِمَامُ أَبو الحسَنِ الأَشعريُّ في مُقدِّمةِ كتابِهِ «الإِبانةِ في أُصولِ الدّيانَةِ» تَجربَتَهُ النَّفسيَّةَ، وحيرَتَهُ العقليَّةَ، اللَّتَينِ عاشَهُما قَبلَ تَحوُّلِهِ عَنْ مذهبِ الاعتزالِ، هذِهِ التَّجربَةُ

الَّتي تُشبِهُ إلى حَدٍّ بعيدٍ تَجربَةَ الإمامِ الغزاليِّ في رِحلتِهِ بينَ الشَّكِّ واليَقينِ، فَإنْ كانَتْ هدايَةُ الغزاليِّ تَمَّتْ بِنورٍ قَذفَهُ اللهُ في قلبِهِ، فَإنَّ هدايَةَ الإمامِ الأَشعريِّ تَمَّتْ بِوحيٍ وإلهامٍ وإرشادٍ مِنْ خيرِ البَريَّةِ، ورَسولِ البَشريَّةِ أَجمع.

قالَ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ نَفسِهِ: «وَقعَ في صَدري في بَعضِ اللَّيالي شَيءٌ مِمَّا كُنتُ فيهِ مِنَ العقائِدِ، فَقمتُ وصَلَّيتُ ركعتينِ، وسَألتُ اللهَ أَنْ يَهديني الطَّريقَ المُستقيمَ، ونمتُ فَرأَيتُ النَّبيَّ ﷺ في المَنامِ، فشَكوتُ بَعضَ ما بي مِنَ الأَمرِ.

فَقَالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: «**عليكَ بِسُنَّتي**»، فَانْتَبَهتُ، وعارَضتُ مَسائِلَ الكلامِ بِما وَجدتُ في القُرآنِ والأَخبارِ فَأَثبَتُّهُ، ونَبذتُ ما سِواهُ وراءَ ظَهري».

ويَذكرُ بَعضُ المُؤَرِّخِينَ أَنْ تِلكَ الهدايَةَ الَّتي تَلقَّاها أَبو الحَسنِ مِنَ النَّبيِّ الأَكرمِ ﷺ كانَتْ في شَهرِ رَمضانَ المُباركِ، وإنْ دَلَّ ذَلكَ عَلى شَيءٍ، فَإنَّما يَدلُّ على أَنَّ الإمامَ الأَشعريَّ كانَ عالِماً رَبَّانيّاً مُتعبِّداً وحانثاً إلى رَبِّهِ يَستخيرُهُ في الملمَّاتِ والحادثاتِ الَّتي تَعترضُ حياتَهُ، ويَنزلُ عندَ أَمرِهِ وقَضائِهِ بِرضا وقُبولٍ؛ عَملاً بِقولِهِ تَعالَى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: 36].

وبِناءً عَلى هذِهِ النَّزعةِ الدِّينيَّةِ القَويَّةِ والصَّادقَةِ، انطلقَ أَبو الحَسنِ يَردُّ عَلى الانحرافِ الَّذي أَشاعهُ المُعتزلةُ وأَشباهُهُمْ في الدِّين والعَقيدةِ، مُقتفياً أَثرَ الإمامِ «أَحمدَ بنِ حنبل»، مُتَّبِعاً مَنهجَ الكتابِ والسُّنَّةِ، مُستَهدياً بِعقيدةِ السَّلفِ الصَّالحِ مِنَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ إليهِمْ بِإحسانٍ.

وها هوَ يَشرحُ عقيدتَهُ الَّتي يُدينُ بِها: «وقَولُنا الَّذي نَقولُ بِهِ، وديانَتُنا الَّتي نُدينُ بِها، التَّمسُّكُ بِكتابِ رَبِّنا ﷻ وبِسُنَّةِ نبيِّنا ﷺ، وما رُويَ عَن الصَّحابةِ والتَّابعينَ وأَئِمَّةِ الحديثِ، ونَحنُ بِذلكَ مُعتصمونَ، وبِما كانَ ما يَقولُ بِهِ «أَبو عبدِ اللهِ أَحمدُ بنُ مُحمَّدِ بنِ حنبل» ـ نَضَّرَ اللهُ وَجهَهُ، ورَفعَ درجَتَهُ، وأَجزلَ مَثوبَتَهُ ـ قائِلونَ، ولِما خالفَ قولَهُ مُخالفونَ، لأَنَّهُ الإِمَامُ الفاضلُ، والرَّئيسُ الكاملُ الَّذي أَبانَ اللهُ بِهِ الحقَّ، ورَفعَ بِهِ الضَّلالَ، وأَوضَحَ بِهِ المنهاجَ، وقَمعَ بِهِ بدعَ المُبتدعينَ، وزيغَ الزَّائِغينَ، وشَكَّ الشَّاكِّينَ، فَرحمةُ اللهِ عليهِ مِنْ إِمامٍ مُقدَّمٍ، وخليلٍ مُعظَّمٍ مُفَخَّمٍ».

ومِنْ هذا المَبدأِ، انتقَدَ أَبو الحَسنِ عقائِدَ المُعتزلَةِ، وأهلِ القَدرِ، وغيرَهُمْ مِنَ الفرقِ الَّذينَ جعلوا القُرآنَ عضينَ، ولَمْ يَتَّخذوهُ لَهُمْ إِماماً وحُجَّةً وبُرهاناً.

❋ ❋ ❋

لَقَدْ كانَ الإِمَامُ الأَشعريُّ رَجلَ عَصرِهِ بَحقٍّ، فهو الَّذي أَعاد للدِّينِ هيبَتَهُ، ورَدَّ عقائِدَ العبادِ إِلى مَصدرِها الأَساسي (كتابِ اللهِ وسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ)، وصارَ مَذهَبُهُ المُعتدلُ في الدِّينِ والعقيدةِ هو السَّائِدُ في مُجتمعِ الإِسلامِ ودولَتِهِ، وأُطلِقَ عليهِ: مَذهب أَهلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ.

يَقولُ أَحدُ الباحثينَ المُعاصرينَ مُدَلِّلاً عَلى عظمةِ شَخصيَّةِ الإِمامِ الأَشعريِّ، وحقانيَّةِ مَذهبِهِ المُعتدلِ: «ليسَ سِرُّ عَظمةِ الإِمامِ الأَشعريِّ في التَّاريخِ، وجلالةِ العملِ الَّذي قامَ بِهِ، في أَنَّهُ دافعَ عَن السُّنَّةِ دفاعاً قَويّاً. إِنَّ سِرَّ عَظمتِهِ وعبقريَّتِهِ في أَنَّهُ اتَّخذَ طريقاً وَسطاً بينَ

المُعتزلةِ والمُحدِّثينَ، فَلَمْ يَذهبْ كما ذَهبَ المُعتزلةُ إلى تَمجيدِ العقلِ والإيمانِ بِأنَّ لَهُ سُلطةً لا تُحدُّ، وأَنَّ لَهُ الحكمَ على الذَّاتِ والصِّفاتِ الإلهيَّةِ وما وراء الطَّبيعيَّاتِ، وأنَّ لَهُ الكلمةَ الأَخيرةَ النَّافذةَ في كُلِّ موضوعٍ، ولَمْ يَرَ كَذَلكَ ـ كما رَأَى كثيرٌ مِنْ أَهلِ عصرِهِ ـ أَنَّ الانتصارَ والدِّفاعَ عَن العقيدةِ الإسلاميَّةِ يَستلزمانِ إنكارَ العقلِ وقُوَّتَهُ إلى حَدِّ ما وازدراءَهُ، وأنَّ السُّكوتَ عَنْ هذِهِ المباحثِ الَّتي يُثيرُها المُعتزلةُ وأَضرابُهُمُ الَّتي نَشأَتْ بِحكمِ تَطوُّرِ العَصرِ، والاحتكاكِ بِالأُممِ والدّياناتِ أَولَى وأَفضلُ، بِالعكسِ مِنْ ذَلكَ: هوَ عُنيَ بِهذِهِ المَباحثِ، لَأَنَّها كانَتْ تُزلزلُ العقيدةَ الإسلاميَّةَ، وتُضعفُ الثِّقةَ بِالدِّين، وباحثَ المُعتزلةَ والمُتَفَلْسِفِينَ، وناقَشَهُمْ في مُصطلاحاتِهِمْ، ولُغَتِهِم العلميَّةِ، وعملَ بِالكَلمةِ المَأثورةِ: «كَلِّموا النَّاسَ عَلى قَدرِ عقولِهِمْ، أَتريدونَ أَنْ يُكذَّبَ اللهُ ورَسولُهُ؟»، وكَأَنَّهُ كانَ يَعتقدُ أَنَّ العالمَ إذا كَلَّمَ عاميّاً فوقَ مُستواهُ العلميِّ والعقليِّ، كانَ ذَلكَ باعثاً عَلى الإنكارِ وتكذيبِ اللهِ ورَسولِهِ. كذَلكَ إذا كانَ عالماً أو ذَكياً أَو مُتَشَكِّكاً دونَ مُستواهُ العلميِّ والعقليِّ، كانَ مُثيراً لِلشُّكوكِ، وداعياً إلى الجُحودِ والإنكارِ، فَكانَ فَهمُهُ لِهذِهِ الوَصيَّةِ الحكيمةِ فَهماً أَوسعَ، وتَطبيقُهُ لَها تَطبيقاً أَشملَ، وبِذلِكَ خَدمَ أَبو الحسَنِ هذا الدِّينَ في عَصرِهِ خدمةً باهرةً، وأَعادَ إلى نُفوسٍ وعُقولٍ كثيرةٍ لا يَعلمُ عَددَها إلَّا اللهُ، الثِّقةَ بِهذا الدِّين، والإيمانَ بِهِ مِنْ جَديدٍ».

❁ ❁ ❁

أَشارَ العَلَّامةُ «صلاحُ الدِّين الصَّفديُّ» في كتابِهِ «أَعيانِ العصرِ وأَعوانِ النَّصرِ» إلى أَنَّ

الإمامَ الأَشعريَّ أَحدُ الَّذينَ جَدَّدوا لِهذِهِ الأُمَّةِ دينَها، وهُم الَّذينَ أَشارَ إِليهِم النَّبيُّ الأَعظمُ بِقولِهِ: «**يَبعثُ اللهُ عَلى رأسِ كُلِّ مئة سَنةٍ لِهذِهِ الأُمَّةِ مَنْ يُجدِّدُ لَها أَمرَ دينِها**».

كانَ عَلى رأسِ المئة الأُولَى «عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ»، والمئة الثانيَّةِ «الإِمَامُ الشَّافعيُّ»، والمئة الثَّالثَةِ «أَبو الحَسنِ الأَشعريُّ»، ويَقولُ عَنهُ: «فَإِنَّ الأَشعريَّ جاءَ لأُصولِ الدِّين، لأنَّ المُعتزلةَ كانوا قَدْ طَبقوا الأَرضَ، فَحجزَهُمْ ﷺ في قُمقُمِ السّمسمِ».

ولعلَّ هذا ما ذَهبَ إِليهِ ابن عساكرَ الدِّمشقيُّ أَيضاً بِقولِهِ: إِنَّ الإِمامَ الأَشعريَّ نَصرَ مَذهبَ أَهلِ الحقِّ والسُّنَّةِ، والنَّاسُ في ذَلكَ الزَّمانِ إِلى إِقامةِ الحقِّ والدِّين والذَّبِّ عَنِ السُّنَّةِ وإِبطالِ مَذهبِ البِدعةِ بِقواطعِ الأَدلَّةِ والبَراهينِ المُفحمةِ المُقرَّرةِ في علمِ الأُصولِ أَحوج مِنهُمْ إِلى مَعرفَةِ الفُروعِ.

خلفَ الإِمَامُ الأَشعريُّ العديدَ مِنَ المُؤَلَّفَاتِ، ولَكنَّ أَشهرَ مُؤَلَّفَاتهِ عَلى الإِطلاقِ:

1 ـ كتابُ الإِبانةِ في أُصولِ الدّيانةِ: وهوَ الكتابُ الَّذي نَقضَ فيهِ مذهبَ الاعتزالِ، ورَدَّ فيهِ عَلى النَّصارَى واليَهودِ والمَجوسِ وغيرِهِمْ مِنْ أَصحابِ البِدعِ والضَّلالاتِ.

2 ـ كتابُ مقالاتِ الإِسلاميينَ: وهوَ كتابٌ هامٌّ في تاريخِ وعلمِ العقائِدِ، ودوَّنَ فيهِ مُجملَ آرائِهِ في الفكرِ والدِّين والعقيدةِ، وبَحثَ في الفرقِ الإِسلاميَّةِ.

3 ـ كتابُ اللُّمعِ: وهوَ كتابٌ في علمِ الإِلهياتِ، يَبحثُ فيهِ في أَوجهِ الاستدلالِ عَلى وجودِ اللهِ وصفاتِهِ، والأُصولِ السِّتَّة عَشر لِلعقيدةِ الإِسلاميَّةِ.

وقَدْ بَلغَتْ مُؤَلَّفَاتهُ الَّتي فرغَ منها سنةَ (320) هجريّةً (68) مُؤلَّفاً كثيرٌ منها يَقعُ في عَشرِ

مُجلداتٍ أو أَكثرَ، ولَهُ تَفسيرٌ كبيرٌ وجامعٌ لِلقُرآنِ الكريمِ، وتَمَيَّزَتْ مُؤَلَّفَاتهُ بِالدِّقةِ والموضوعيَّةِ اعترفَ لَهُ فيها المُستشرقونَ بِالأَمانةِ وتَحري الصِّدقِ في النَّقلِ.

توفِّي الإِمَامُ الأَشعريُّ سنةَ (324) هجريَّةً، ونوديَ يومَ وفاتِهِ: «اليومَ ماتَ ناصرُ السُّنَّةِ».

الأسئلة والمناقشة

1 ـ ماذا ألحقَ الإِمَامُ الأَشعريُّ بِالمُتَكَلِّمِينَ والمُتَفَلْسِفِينَ والمُزاوِدينَ عَلى الدِّينِ؟

2 ـ ماذا يُعتبَرُ الإِمَامُ الأَشعريُّ؟

3 ـ لِماذا لا يَجوزُ للعقلِ أنْ يَخوضَ في المسائِلِ الَّتي تتعلَّقُ بِذاتِ اللهِ؟

4 ـ بِماذا امتازَ الإِمَامُ الأَشعريُّ عَنْ غيرِهِ مِنَ العُلماءِ والمُصلحينَ؟

5 ـ ماذا قالَ النَّبيُّ ﷺ في حَقِّ الأَشعريينَ؟

6 ـ كيفَ هُديَ الإِمَامُ الأَشعريُّ إِلى الحَقِّ؟

7 ـ ما هيَ الكلمةُ الَّتي عملَ بِها الإِمامُ الأَشعريُّ في مناقشةِ خُصومِهِ؟

8 ـ ما هيَ أَهمُّ مُؤَلَّفَات الإِمامِ الأَشعريِّ؟